

تفسير البحر المحيط

@ 58 أم أوامر بالخروج إلى أرض قد رفعت ورأيتها ، يعني فى منامه ، ذات نخل وشجر ؟ وقال ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وقتادة ، والحسن ، وعكرمة : معناه فى الآخرة ، وكان هذا فى صدر الإسلام ، ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنة ، وبأن الكافرين فى نار جهنم ؛ وهذا القول ليس بظاهر ، بل قد أعلم سبحانه من أول الرسالة حال الكافر وحال المؤمن . وقيل : { مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ } من الأوامر والنواهي ، وما يلزم الشريعة . وقيل : نزلت فى أمر كان النبى صلى الله عليه وسلم) ينتظره من الله فى غير الثواب والعقاب . .

{ إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَّيَّ } : استسلام وتبرؤ من علم المغيبات ، ووقوف مع النذارة إلا من عذاب الله . وقرأ الجمهور : ما يفعل بضم الياء مبنياً للمفعول ؛ وزيد بن عليّ ، وابن أبي عبلة : بفتحها . والظاهر أن ما استفهامية ، وأدري معلقة ؛ فجملة الاستفهام موصولة منصوبة . انتهى . والفصيح المشهور أن دَرَى يتعدى بالباء ، ولذلك حين عدي بهمزة النقل يتعدى بالباء ، نحو قوله : { وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ } ، فجعل ما استفهامية هو الأولى والأجود ، وكثيراً ما علقت فى القرآن نحو : { وَإِنَّ أَدْرَى أَقَرِّبُ } ، ويفعل مثبت غير منفي ، لكنه قد انسحب عليه النفي ، لاشتماله على ما ويفعل ؛ فلذلك قال : { وَلَا بِكُمْ } . ولولا اعتبار النفي ، لكان التركيب { مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ } . ألا ترى زيادة من فى قوله : { أَلَا تَرَىٰ زَيْدًا } ؟ لا تَرَىٰ زَيْدًا ؟ لانسحاب قوله : { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } على يود وعلى متعلق يود ، وهو أن ينزل ، فإذا انتفت ودادة التنزيل انتفى التنزيل . وقرأ ابن عمير : ما يوحى ، بكسر الحاء ، أي الله عز وجل . .

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَحْذُوفَانِ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهِمَا ، والتقدير : أَرَأَيْتُمْ حَالَكُمْ إِنْ كَانَ كَذَا ؟ أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ فالأول حالكم ، والثاني أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ، وجواب الشرط محذوف ؛ أي فقد ظلمتم ، ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً . وقال الزمخشري : جواب الشرط محذوف تقديره : إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ ويدل على هذا المحذوف قوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } . انتهى .

وجملة الاستفهام لا تكون جواباً للشرط إلا بالفاء . فإن كانت الأداة الهمزة ، تقدمت الفاء نحو : إِنْ تَزَرْنَا ، أفما نحسن إليك ؟ أو غيرها تقدمت الفاء نحو : إِنْ تَزَرْنَا ، فهل ترى إلّا خيراً ؟ فقول الزمخشري : أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ ؟ بغير فاء ، لا يجوز أن يكون جواب الشرط

. وقال ابن عطية : وأرأيتم يحتمل أن تكون منبهة ، فهي لفظ موضوع للسؤال لا يقتضي مفعولاً .
ويحتمل أن تكون الجملة : كان وما عملت فيه ، تسد مسد مفعوليها . انتهى . وهذا خلاف ما
قرره محققو النحاة في أرأيتم . وقيل : جواب الشرط . .
{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ } : أي فقد آمن محمد به ، أو الشاهد ، واستكبرتم أنتم عن الإيمان .
وقال الحسن : تقديره فمن أضل منكم . وقيل : فمن المحق منا ومنكم ، ومن المبطل ؟ وقيل :
إنما تهلكون ، والضمير في به عائد على ما عاد عليه اسم كان ، وهو القرآن . وقال الشعبي
: يعود على الرسول ، والشاهد عبد الله بن سلام ، قاله الجمهور ، وابن عباس ، والحسن ،
وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن سيرين ؛ والآية مدنية . وعن عبد الله بن سلام : نزلت في
آيات من كتاب الله ، نزلت في { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَيَّ مِثْلَهُ
فَتَأْمَنَ وَاسْتَكَبَرْتُ } . وقال مسروق : الشاهد موسى عليه السلام ، لا ابن سلام ،
لأنه أسلم بالمدينة ، والسورة مكية ، والخطاب في { وَكَفَّرْتُ } به . وقال
الشعبي : الشاهد من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوارة ، لأن ابن سلام أسلم قبل وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم) بعامين ، والسورة مكية . وقال سعد بن أبي وقاص ، ومجاهد ،
وفرقة : الآية مكية ، والشاهد عبد الله بن سلام ، وهي من الآيات التي تضمنت غيباً أبرزه
الوجود ، وعبد الله بن سلام مذكور في الصحيح ، وفيه بهت لليهود لعنهم الله . .
ومن كذب اليهود وجهلهم بالتاريخ ، ما يعتقدونه في عبد الله بن سلام ، أنه صلى الله عليه
وسلم) حين سافر إلى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها ، اجتمع بأحبار اليهود وقص